

أضواء البيان

@ 225 @ إلا بواسطة الإيمان بالله وبما يكرم الله به من شاء بالشفاعة ، كما في قوله تعالى :

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَابْنُ مَرْثَىٰ أَلْأَحْقَقُونَ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } . قوله تعالى : { وَصَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنِ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ الْفُجُورِ . جاء في هذا المثل بيان مقابل للبيان المتقدم والمفهوم المخالف له ، وهو أن المؤمن لا تضره معاشره الكافر ، كما أن الكافر لا تنفعه معاشره المؤمن ، وفي هذا المثل قال الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه في مذكرة الإملاء : .

لقد اختارت امرأة فرعون في طلبها حسن الجوار قبل الدار . . .

أي في قولها : { ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ } . قوله تعالى : { وَمَرْثَىٰ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَاهَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا } . بين تعالى المراد بالروح بأنه جبريل عليه السلام في قوله : { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } وهو جبريل . .

كما في قوله : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } أي نزل جبريل بالقرآن ، وفي هذه الآية رد على النصارى استدلالهم بها على أن عيسى عليه السلام ابن الله ومن روحه تعالى ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وبيان هذا الرد أن قوله تعالى : { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا } تعدياً أرسل بنفسه ، يدل على أن الذي أرسل يمكن إرساله بنفسه ، وهو فرق عند أهل اللغة ، بينما يرسل نفسه وما يرسل مع غيره كالرسالة ، والهدية ، فيقال فيه : أرسلت إليه بكذا ، كما في قوله : { وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ } . .

فالهدية لا ترسل بنفسها ، ومثله بعثت ، تقول : بعثت البعير من مكانه ، وبعثت مبعوثاً ، وبعثت برسالة ، ثانياً قوله : { فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } لفظ الروح مؤنث ، كما في قوله تعالى : { فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ } أنت الفعل في بلغت ، وهنا الضمير مذكر عائد لجبريل . .

وقوله : { فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } ، ولو أنه من روح الله على ما ذهب إليه النصارى ، لما كان في حاجة إلى هذا التمثيل .